

تلقي الثورة في أوساط الشعب الجزائري

رواية "كحقل مليء بالفرشات" لياسمينه صالح أمودجا

Receiving the revolution among the Algerian people

The novel "As a field full of butterflies" by Yasmina Saleh
as a model

د. عطوي سمية.

Atoui somia

University of msila

الملخص : كانت الرواية قالبا فنياً موائماً لخطاب الثورة؛ كونها من الأجناس الأدبية التي تتيح مزج التاريخي (المرجعي) بالمتخيّل . والأعمال الروائية التي اتخذت من الثورة التحريرية مادة خاماً لها كثيرة ومتنوعة، تراوح طرحها بين نصوص تمجّد الثورة وتقّدها ولا تُبيّن منها إلا الجانب المشرق، ونصوص أخرى واقعية بعيدة عن التّمدجة المقدّسة لموضوع الثورة؛ نبش كُتّابها في جراحات الثورة وخلفياتها. وتعدّ رواية "كحقل مليء بالفرشات" لياسمينه

صالح من صنف تلك الروايات؛ حيث حاولت كاتبها كشف ما خلف الكواليس مركّزة على كيفية تلقي الشعب لشرارة الثورة الأولى، إضافة لربط ذلك الماضي بالحاضر، مصوّرةً تداعيات ذلك كله على الجيل الجديد في توليفة أدبيّة تكاد تكون لوحة فنيّة للواقع.

Abstract: The novel was an artistic template adapted to the discourse of the revolution, as it is one of the literary genres that allow mixing the historical (reference) with the imaginary. The works of fiction that have taken the liberation revolution as raw material are many and varied, ranging from texts that glorify and sanctify the revolution and show only the bright side, and other realistic texts far from the sacred model of the subject of the revolution; digging up their book in the wounds and backgrounds of the revolution. Yasmina Saleh's novel "As a Field Full of Butterflies" is one of those novels, as its author tried to uncover behind the scenes, focusing on how the people received the spark of the first revolution, in addition to linking that past with the present, depicting the repercussions of all this on the new generation in a literary synthesis that is almost a painting of reality

مقدمة :

كانت الثورة الجزائرية ولا تزال موضوعا دسماً لمختلف النصوص الروائية التي تناولتها بنوع من النّمذجة المقدّسة فخرًا بما حقّفته من بطولات وإنجازات عظيمة على كلّ الأصعدة. إلّا أنّ هناك بعض النصوص التي نحت منحى أكثر واقعيّة؛ وتخلّت عن المثالية في التّصوير؛ إذ فضّلت الخوض في الجوانب المظلمة التي سبقت النّور، وعرّت المستور، وكشفت ما خلف الكواليس، ذلك أنّ تفجير الثورة وإطلاق الشرارة الأولى لها في ظل تلك الظروف لم يكن أمراً سهلاً أو مرحّباً به من أطراف الشعب الجزائري كلها؛ حيث تباينت ردّات الفعل بين الإيمان التّام بفكرة الثورة و التردّد في قبولها، بل و معارضتها في بعض الأحيان. وهذا ما تطرّقت له الروائية " ياسمينه صالح" في روايتها "كحقل مليء بالفراشات"؛ هذه الأخيرة التي ستكون مدوّنةً للبحث والتطبيق بغية رصد أصداء اندلاع الثورة الجزائرية الكبرى ، و تداعياتها.

الرواية و التاريخ و الذاكرة:

انفتحت الرواية المعاصرة على مختلف الفنون و الأشكال التعبيرية وغير
 التعبيرية، وقد كان التاريخ بخاصيته السردية التي أكّدها عليها "بول ريكور"
 واحدا من أهم المصادر التي اتكأت عليها الرواية ممّا أنتج نوعا يسمى بالرواية
 التاريخية؛ اتفقت الدراسات والأبحاث على تعريفها بكونها " عملا سرديا
 يرمي إلى إعادة بناء حقبة من الماضي بطريقة تخيلية حيث تتداخل
 شخصيات تاريخية مع شخصيات متخيّلة . إننا في الرواية التاريخية نجد
 حضورا للمادة التاريخية لكنها مقدمة بطريقة إبداعية وتخييلية"¹. هكذا إذن
 تتعالق الرواية مع التاريخ، لكنها لا تعيده تقريريا كما هو فذاك عمل المؤرخ ؛
 بل إنّ الروائي يسرد التاريخ ويعرضه بطريقة فنية جمالية تجمع المرجعي الواقعي
 بالمتخيّل الفني؛ الأمر الذي يُسهّل قراءة التاريخ و فهمه، ف" بقدر ما يشكّل

¹ سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية الجديدة - الوجود والحدود- دار الأمان،

الرباط، ط1، 2012، ص159

التاريخ مصدرا حيويا للأدب، ينطوي العمل الأدبي على أهمية كبيرة بالنسبة إلى المؤرخ؛ إذ يتيح له الولوج إلى حياة الماضي¹.

واستلهم التاريخ في الرواية يستدعي حضور الذاكرة الفردية و الجماعية و إحيائها، و بعث الأحداث الكامنة فيها من جديد وبالتالي حفظها من الضياع، من خلال ربط الماضي بالحاضر واستخلاص الدروس منه؛ وعليه برز الأدب باعتباره من أكثر الخطابات فاعلية في توثيق الذاكرة وتمثيلها. وهو لا يتيح فقط للذاكرات فضاء أوسع للتواصل والتفاعل والانتقال بين الأفراد والجماعات، بل يساعد أيضا على ترهين الفهم للماضي².

تلقي الثورة بين التردد واليقين من خلال رواية "كحقل مليء بالفرشات":

¹ إدريس الخضراوي: من التاريخ إلى الرواية - الذاكرة الجمعية مصدرا للسرد- مجلة تبين، العدد 33/ مج 9، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، صيف 2020، ص 81

² يُنظر: إدريس الخضراوي: من التاريخ إلى الرواية - الذاكرة الجمعية مصدرا للسرد- ص 85

تستفتح الروائية نصّها بخطاب استرجاعي ذاتيّ لسي السعيد يكشف فيه حقيقة تحبّطه بين الماضي والحاضر؛ حيث هو منبوذ من طرف ابنته التي لا تتقبل ما يقوم به من أعمال. يقول متحدّثا عنها "ظلّت ترمقني بعينين ينطّ منهما حزن رماني على عتاب مرّ. كنت جامدا في مكاني، على بعد لمسة منها ! ماذا كان علي أن أفعل حينها غير الإذعان للصمت قبالة عينين تديناني بوقاحة لا أحتملها! ابنتي هي الحقيقة العارية من الادعاء . ابنتي هي المواجهة التي طالما خفّت منها، وأجلت الخوض فيها! من أنا بالضبط بعد كل هذا العمر؟ أنا لاشيء، لا أحد!"¹

"سي السعيد" هذا الإقطاعي الذي كان يخاف قيام الثورة في الماضي، وهو الآن يستحوذ على السّلطة. في داخله لم يكن غاضبا من ابنته، فكأنّه يدرك أن ما قام به من أعمال غير مقبول: "لم أكن غاضبا من ابنتي التي تعبر عن غضبها من حزب استحوذ على السلطة وحوّل البلد إلى مزرعة شخصية كما تقول، في النهاية لم تكن مبالغة ! لكنني مستاء لأنّها تركتني وذهبت للإقامة عند خالتها في الخارج. كان الخارج متنفسا لها لتترك الرسم الذي تحبه

¹ ياسمينة صالح: كحقل مليء بالفراشات، دار فضاءات، عمان، 2020، ط1،

و تصبح صحفية همها الوحيد إسقاط والدها وحزبه الذي تراه سببا في خسائر جيلها!"¹.

توظّف الروائية الذاكرة من خلال الشخصية الرئيسية/ السارد سي السعيد الذي يستعيد ماضيه على امتداد الفصول. يروي كيف كان الناس يحترمونه، ويسمّونه رجلا رغم صغر سنّه وهذا لأنه يملك أرضا ورثها عن أبيه. يقول متحدّثا عن بداية الحرب التحريرية مقزّما إيّاها، و كأنّها أمر لا يعنيه، فهو لا يرغب بحدوثها. يقول : " كانت الحرب قريبة، بعد أن حطت رحالها في القرى الأخرى. الحرب التي بدأت على شكل ثرثرة سرية بين الناس وتحولت إلى قضية"². بعد ذلك يغوص في سرد حياته وطفولته، ذاكر بعض التفاصيل التي توحى بأنه صار رجلا إقطاعيا بالوراثة، و بسبب هؤلاء الناس الذين منحوه السلطة مبكرا. وكأنّه يبرئ ذمّته مسبقا قبل أن تستفرغ ذاكرته الأحداث التالية. وهنا تكمن جماليّة الرواية و خصوصيتها الفنّية؛ حيث لم تركّز على الوقائع التاريخية فحسب، بل تجاوزتها إلى دواخل الشخص الفنّية، والظروف المحيطة بها بعيدا عن المثالية. فما"يهم في الرواية التاريخية ليس إعادة

¹ الرواية، ص 8، 9

² الرواية، ص 11

سرد الأحداث التاريخية الكبيرة، بل الإيقاظ الشعري للناس الذين برزوا في تلك الأحداث، وما يهم هو أن نعيش مرة أخرى الدوافع الاجتماعية والإنسانية التي أدّت بهم أن يفكّروا و يشعروا ويتصرفوا كما فعلوا ذلك تماما في الواقع التاريخي¹

ومن الشخصيات التي كانت تريد بقاء فرنسا أيضا "العمدة قدور" الذي لم يؤيد اندلاع الثورة، وأكثر من ذلك؛ كان يؤيد بقاء فرنسا. وعن ذلك يقول "سي السعيد" واصفا إياه : " كان قدور واحدا من الذين استفادوا من وجود فرنسا في الجزائر! ولعل غضبه الشديد من الثورة لفهمه أنها تهدد حياته. كان أبوه "حمزة" عاملا مخلصا في بيت الكولونيل "إدجار دي شاتو"... كان "حمزة" كلبا في بلاط الكولونيل . آمن في سره بأن بإمكانه أن يكون سيدا على قرية وعده "إدجار" بعموديتها!². وكأن الروائية هنا تريد أن توصل فكرة أنه كما يورث حب الوطن والتضحية في سبيله، تورث أحيانا التبعيّة و الأنانية و الخيانة. فحمزة باع وطنه كله في مقابل أن يكون عمدة

¹ جورج لوكاش : الرواية التاريخية، تر : صالح جواد الكاظم، دار الشؤون الثقافية

العامة، بغداد، 1986، ط2، ص46

² الرواية، ص12

على قرية منه ! ولفظاعة هذا التوجّه، تختار الروائية مبرّرا يخفّف من حدّة الصدمة على المتلقي بأن تجعل "حمزة" حاملا لدم فرنسي؛ فهو ثمرة اغتصاب جندي فرنسي لفتاة جزائرية من القرية.

قدور العمدة كان مؤيدا جدا لبقاء فرنسا، ويرى في الحرية أمرا كبيرا على الجزائريين لا يستحقونه ولا يقدرّون عليه. يقول "إنها هذه الحرب القذرة . يريدون إخراج فرنسا من البلاد! الحمقى! يتصورون أنهم يقدرّون على الحرية."¹

لم يكن "سي السعيد" يرى في الثورة التحريرية فجرا و استقلالاً بل كان يراها يرى اقترابها من قريته خطرا يهدد حياته و أرضه و سلطته. يقول معترفا : " كانت الحرب وقتها تشتعل في قرى أخرى قريبة من قرية "براناس" كنت أرى الخطر مقبلا!

¹ الرواية، ص22

الفلاحون أخطر من الحرب عندما يتمردون على الأرض، عندما يحاولون استيعاب ما يجري من أحداث بعقولهم البليدة"¹. بعد ذلك يعترف بكون المبادئ التي يؤمن بها لا أخلاقية : " أعرف أنني كنت نذلا أيضا، ولكن النذالة تطورت مع الزمن، أصبحت تلبس بذلة رسمية وتحمل حقيبة دبلوماسية! أصبحت النذالة حضارية! أنا أعترف بنذالتي."²

رويدا رويدا يكشف بأن انخراطه في الثورة - مجبرا - يعتبر سقوطا نحو الهاوية؛ إذ يتحدث عن المعلم عمر الذي كان سببا في دخوله ميدان الجهاد دون أن يخطط لذلك ولا يرغب فيه، بل صار مناضلا بالصدفة . يقول : " عمر. يا إلهي! كيف جررتني نحو الهاوية! كيف لم تتقيأك ذاكرتي؟"³. وفي موضع آخر وعن طريق تقنية الفلاش باك يشتغل خطاب الذاكرة ليروي بأن الثورة كانت أمرا مربعا بالنسبة لسي السعيد الذي يقول : "يوجد في مكان ما من هذا الليل، قلب حاصرته الذكريات، والتفاصيل الموحجة! قلب شقي، عنيد، ومجروح. قلب لا يعرف هدنة و لا راحة. ذاك هو قلبي أنا. ... كان

¹ الرواية، ص18

² الرواية، ص19

³ الرواية، ص19

بلقاسم يأتيني كل مساء حاملا معه أخبار الناس، وتفاصيل الثورة التي ذابت في حواراتهم اليومية. تلك هي بالضبط الأخبار التي كانت تثير حفيظتي، وتفتح في داخلي شعورا بالرعب!"¹

تكشف الحوارات الذاتية لسي السعيد عن اعتراف خفي أحيانا، معلن أحيانا أخرى مفاده بأن ما قام به، وما يقوم به ليس من الشهامة ولا الوطنية في شيء، لذلك كان بين الفينة والأخرى يحاول أن يلقي باللوم على بعض الثوار أو يشكك في نيتهم على الأقل. ففي المقطع السردى التالي يفسر وجهة نظره للثورة، و انتماء بعض الناس لها لغسل آثامهم والتطهر منها قائلا : "ذات مساء جاءني يشكو لي حال الفلاحين. كان صوته يرتعش! الثورة قادمة إذن! لم تكن الثورة تعينني مباشرة ! كنت أنظر إليها على أنها وجهة نظر بعض الرجال إزاء وضع ما، ولم يكن سهلا الاقتناع بعدئذ بفكرة أن الثورة تقدر على غسل آثام الناس بمجرد انتسابهم إليها . لم أكن لأقبل أن يصبح الزنديق قديسا بموجب انتمائه للثورة- أية ثورة كانت- تخيلت بلقاسم

¹ الرواية، ص21

لو أصبح ثائراً؟ هل بمقدور الثورة أن تغسل آثام هذا الرجل وتنسي الفلاحين كرههم له؟¹

في بعض المواضع من الرواية يبدو "سي السعيد" متعاطفاً مع الثورة ، ليس إيماناً بها، ولا بقيمتها، وإنما لغايات ذاتية تخصّه وحده؛ فالأولى كانت لأن الثورة أخافت "قدور" الذي لم يكن "سي السعيد" يحبه، يقول "انتابني إحساس بالتعاطف مع الثورة التي استطاعت أن تملأ نفس العمدة بالرعب، فلا بدّ أن أحييها تحية إجلال!"²

أما الغاية الثانية التي تعدّ أمراً ثانوياً لقبوله الانضمام للثوار، فتمثلت في خوفه من أن يلقي نفس مصير "قدور" وكل الخونة. يقول في مونولوج ذاتي مثقل بالتساؤلات : "هكذا، بمنتهى "طولة البال" تبدو الحرب مصممة! لا تجيد التفاوض مع من تصفهم بالخونة. كان العمدة يعرف أنه هدف مثالي للثوار ... من يقود هذا الحفل المقنع يا سادتي ؟ كَفَّرَ بلقاسم عن ذنوبه بعمله الأخير. العمدة ليس أكثر من عميل قذر مناهض لمسار ثورة احتضنها

¹ الرواية، ص21

² الرواية، ص22

الشعب، والخائن لا مكان له على أرض تغسلها دماء الشهداء، وبلقاسم الذي نَقَذ العملية تسميه الثورة بطلا. تساءلت عن الفرق بين بلقاسم وبين العمدة، والفرق بيني وبين العمدة في النهاية؟" هزني اغتيال العمدة، كنت أحاول إخفاء رعي في فكرة أنّ الرصاص التالية ستصيب رأسي!"¹

أما السبب الرئيس لانخراطه في الثورة فتمثّل في حبه لأخت عمر الثائر؛ حيث لم يكن يريد أن يبدو في نظرها جباناً، بل أراد أن يكسب رضاها وحبّها؛ لذلك وافق على طلب عمر المتمثّل في مساعدة الثوار . يروي الحدث قائلاً : " لكم تساءلت وقتها لماذا اختارني أنا بالذات، فأنا معروف بالحياد حد التواطؤ، فما دخلي وحروبهم المعلنة، وما شأني بمطالبهم؟

هي الحرب إذن من قادت "عمر" إلي!

كان صامتا. يحدق في نقطة غامضة في فضاء مشحون. التفت نحوي، وقال كأنه يواصل حواراً قديماً بيننا :

¹ الرواية، ص 37

- الثورة قريبة من هنا يا سي السعيد، وسوف تتغير أشياء كثيرة. حتى الناس سوف يتغيرون!

لم أحبه، كنت أصدق في نقطة بعيدة وغامضة، وكأنه استنتج ثقل صمتي.
أضاف :

- أنت جزائري، لا بد أنك مسرور بالثورة؟

ابتلعْتُ ريقِي ونظرت إليه. كان وجهه صارما. حُيِّلَ إِلَيَّ أَنِّي قبالَة واحد من هؤلاء المراهقين المجانين الذي يريدون تغيير العالم بشعارات عنترية رنانة. بدا لي الموقف مريبا وهو ينظر إلي منتظرا مني الجواب... "21

في مقطع آخر، يروي كيف تورط في الحرب بخطوة فعلية لأول مرة بعد أن خرج باحثا عن "عمر" الذي تأخر في العودة لبيته، وقد فعل "سي السعيد" ذلك ليزيل الخوف عن "جميلة" التي كانت قلقة على أخيها، وليكسب ودها، ولم تعنه الثورة في ذلك . وهذا ما ينكشف من خلال الحوار التالي: - " ما يخيفني أنه لم يقل لي أين ذهب، أخشى عليه من كلاب فرنسا.

¹ الرواية، ص 29

² الرواية، ص ن

- سأذهب للبحث عنه!

باللسخريّة! من كان ليصدق أن السي السعيد سيخرج الليلة في عتمة الحرب، وفي غمرة حظر التجول بحثا عن عمر؟... لم يكن يهمني عمر، كنت بحاجة إليك لتصدقني أنني لست ندلا، ولا جباناً، وأنني لا أشبه قدور...¹

وتتكرر المقاطع التي يؤكد فيها "سي السعيد" أن انخراطه في الثورة كان قسراً، و لغايات أخرى بعيدة تماماً عن الثورة والوطن. وهذا حوار آخر يكشف كيف أقحمه عمر في الحرب :

"- نحن في حالة حرب الآن، والأمور في القرية تغيرت عما كانت عليه في السابق....قررت أن أتحدث معك في أمر هام وخطير. ليس كصديق فقط، بل كجزائري يحاورا جزائرياً مثله.

(صمت ثقيل آخر، ثم أضاف)

- أعترف أنني لم أحبك في البداية. كنت في نظري إقطاعياً فاسداً ومدللاً. ولكن مع الوقت، عندما تعرفت عليك عن قرب عرفت أنك تخفي في

¹ الرواية، ص52

داخلك إحساسا وطنيا صادقا ورائعا، وأنتك لا تختلف في شيء عن أي جزائري مخلص!...

-ماذا تريد مني؟

-المسألة في غاية الوضوح: الجبهة تدعوك للانضمام إلينا!

- الجبهة؟

يا إلهي، أيعقل أن يتحول السي السعيد الإقطاعي الفاسد والمدلل إلى ثائر قومي، وبطل من أبطال جبهة التحرير؟

- الجبهة تحتاج إلى كل الجزائريين، وحدها المرحلة قادرة على غربة الوطنيين و كشف الجبناء والعملاء والخونة.

- وماذا لو لم أنضم للجبهة؟

- لا تقلق . ستعود إلى بيتك، وتمارس حياتك لتعيش في وطن يموت غيرك دفاعا عنه!

...

- تذكر دائما يا سي السعيد أنك تملك حرية الرفض أو القبول!

يا له من فخ جميل! حرية الرفض ما هي سوى وصمة العار التي تلصقها الجبهة على جبين الجبناء لتذكرهم أنهم أشباه جزائريين لا أكثر.¹

وفي مقطع أكثر صراحة وجراً يكشف بأنّ ولاءه للثورة كان بسبب "جميلة" أخت عمر. يقول " لم يكن يهمني إثبات إخلاصي لعمر، بقدر ما كان يهمني أن أثبت لك إخلاصي...

يا عمر لم يكن مرورك في حياتي شيئاً سيئاً، وأنا لم أصبح جزائرياً مخلصاً بفضلك أنت، بل بفضل عينيها هي!"²

ويقول أيضاً بعد أن أمرته الجبهة بحماية أحد الثوار؛ فأذعن لذلك مرغماً حتى لا يقال أنه متخاذل عن الثورة " نعم! كنت جبانا خاضعا لثورة تأتيني على شكل رجال فهموا الحياة كما لم أفهمها، وعاشوها كما لم أعشها، فاختاروا نهايتهم بقناعة. لم يعرفوا وجهك الحقيقي سيدتي. لم يعرفوه كما عرفته أنا، ولم

¹ الرواية، ص 54، 55

² الرواية، ص 55

يجبوه كما أحبيته أنا. وجهك الذي حولني من إقطاعي إلى رجل وطني - على طريقتك، وثوري على طريقتة!"¹

ويقول في مقطع آخر معترفاً: "تساءلت بعد تلك الليلة عن مصيري لو لم أكن واحدا منهم.

(واحدا منهم؟) يا للكلمة الكبيرة. لم أكن واحدا منهم، بل كنت أقلهم تحمسا للثورة وأكثرهم تشبهاً بالحلم "تلك العينان جعلتا مني رجلاً آخر يريد اكتشاف ذاته في ذوات الآخرين، وفي معنى الثورة التي يسميها "عمر": الوطن! الوطنية معناها أن تكون واحداً من كل هؤلاء الجزائريين وأن تفرح وتحزن وتبكي وتتألم معهم، وأنا - بهذا التعريف - لم أكن وطنياً. كنت أريد وطنية خارقة تناسبني. تقربني من الناس وتبعدني عنهم في أن. كنت أريد وطنية على مقاسي."²

ويتوالى خطاب الذاكرة كاشفاً عن الصراع الذاتي الذي يعاينه "سي السعيد"، الذي لم يتردد في جلد ذاته محاولاً التطهر من ذنوبه. يقول: "أعترف أنني لم

¹ الرواية، ص 63

² الرواية، ص 57

أفعل في حياتي ما يجعلني راضيا عن ذكرياتي . لا أشبه المرضى السياسيين الذين يكتبون سيرتهم الذاتية ليلبسوا ذاكرة ليست لهم. الشيزوفانيا صارت وجها من حياة الإنسان الحديث"¹. ويتّضح من خلال هذا المقطع الأخير أن الروائية "ياسمينه صالح" وظّفت خطاب الذاكرة و التاريخ على لسان سارد عليم بكل شيء لتعريّ المستور، وتنقد الأوضاع الراهنة؛ فخطاب الذاكرة هنا "خطاب ينبش في أعماق التاريخ، كما يغوص في أعماق النفس الإنسانية؛ خطاب مقنع يقتحم المخدور في صمت، ويكشف المستور بليونته، وبالتالي فالذاكرة هذا الجسر المتين الذي يكسر الحواجز بين الأشياء، ويطلق العنان للحديث دون قيد أو شرط، تستحضر التاريخ فتوشيه بزي الخيال. فترفع عنه الحذر ليصبح مباحا للتداول والتلقي".²

تنطلق الروائية من الماضي لرصد الأوضاع والتحوّلات في الجزائر، فتجعل "سي السعيد" المتمسك بالسلطة امتدادا لسي السعيد الإقطاعي الذي أصبح مناضلا في الجبهة بالصدفة. وقد كان عرضة للانتقاد من ابنته بسبب ترشحه

¹ الرواية، ص 41

² سعيد جبار: خطاب الذاكرة: حدود الواقع والتخييل، مجلة علامات، العدد 21،

كلية الآداب الجديدة-المغرب- يناير 2004، ص 86

لانتخابات الرئاسية. تقول مخاطبة إياه : " أيعقل أن تفكر في رئاسة البلد بعد كل ما جرى؟ أهذا الحد نظرتكم للغد ضيقة ؟ ألا تكفي كل الكوارث التي تسببتهم فيها ؟ تبحثون عن حكم أبدي؟!

...

عندما قررت الرجوع إلى هنا لحضور جنازة أخي، انتظرت أن يتم اعتقالي في المطار، فحزبك صارت له أذرع أمنية! لعلي استغربت و أنا أدخل إلى هنا آمنة! لكن، سأخبرك أنني تركت "هناك" رسالة مفتوحة إلى الجزائريين، كتبته بخط يدي، وسجلت نسخة منها بصوتي. ذكرت فيها كل شيء عنك وعن حزبك، سيتم توزيعها على وكالات الأنباء الدولية في حال اعتقالي. حتى أنا أجيد المناورة مثلكم يا أبي!"¹

بينما يقول هو في مقطع آخر : " ابنتي تطلق علينا اسم "ديناصورات"، وتطالب بإسقاطنا بثورة شعبية! أعترف أنني لم أكن أشعر بالغضب، كنت -

¹ الرواية، ص 60

لسبب غريب - أفهم ثورتها، إنها تعبر عن ثورة جيلها الذي يرى فينا سببا في
بؤسه وخسائره.¹

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الروائية اعتمدت القفز الزمني بين الماضي والحاضر
على التوالي؛ باعتماد الاسترجاع الذاتي تارة، وتسريد الحاضر تارة أخرى دون
أن تحدث فجوة بينهما، محققة بذلك الغاية من استحضار التاريخ وفترة الثورة
بالذات؛ حيث "تطرح الرواية التاريخية على صاحبها تحديا كبيرا، فهو من
جهة مدعو لاقتطاع مرحلة من ماض بعيد، وإعادة تمثيلها وبث روح الحياة
فيها من جديد، وهو من جهة ثانية مطالب بعدم السقوط في فخ السرد
التاريخ للأحداث"². ذلك أن توظيف التاريخ الثوري هنا جاء لتسليط الضوء
على مشكلات الوضع الراهن، واستخلاص الدروس من التجارب السابقة؛
فهناك روائيون "يبحثون عن تعالقات بين الماضي والحاضر، ويرون أن اعتماد
الأحداث الماضية يسمح باستخلاص الدروس التي يمكن تطبيقها في

¹ الرواية، ص66

² نزيه أبونضال: التحولات في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات
والنشر، بيروت، 2006، ط1، ص42

الحاضر"¹، و"ياسمينة صالح" واحدة منهم، وهذا ما يتجلى في مختلف أعمالها.

لكل حدث عظيم جانب مشرق وآخر مظلم، والروائية في نصّها تُقدّم - فيما يشبه المقارنة والتناظر- شخصيات أخرى ضحّت بالروح في سبيل الوطن؛ فمثلما يوجد "سي السعيد، وقدر وحمزة"، هناك "عمر"، والرشيد وغيرهما". وفي المقطع الموالي تصوّر الروائية الفرق بين مبادئ سي الرشيد الثورية، ووجهة نظر "سي السعيد" الذي يروي المشهد قائلاً :

"كان "الرشيد" صامتا يحدق في نقطة بعيدة لا يراها غيره. ؟ أحسست به حزينا. قال أخيرا :

- أنا متأكد أنك تشتاق إلى بيتك وأهلك كبقية زملائك، فالحرب ليست نزهة، بل قرار يحسم وجود الرجال. إما حياة و إما ممات!

قلت بشيء من التردد :

- هل يوجد أمل في النصر النهائي؟

¹ سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية الجديدة - الوجود والحدود، ص 160

- إنا نتنصر يا صديقي. لا تنس أننا نقاتل لأجل ذلك"¹

كان "سي الرشيد" يؤمن بأن مجرد القتال، والانتفاضة هو نصر في حد ذاته مما يدلّ على قوة يقينه و إيمانه بالثورة ، بينما كان "سي السعيد" يريد النتيجة غير عابئ بالخطوات.

يقول "سي الرشيد" في موضعين آخرين معمّقا إيمانه الشديد بأنّ الثورة الجزائرية ثورة حق : "كلما سقط شهيد بدا نصرنا أقرب. شهداؤنا يذهبون إلى اللجنة مرتاحي البال. أضاف :

الذين سبقونا إلى الشهادة، سبقونا إلى الإيمان!"²

" ارتعدت أطرافني حتى العظام عندما قال الرشيد :

¹ الرواية، ص 77

² الرواية، ص 86، 87

-الله أكبر. نحن ندافع عن الحق. الله معنا"¹

أيضا المعلم "عمر" كان بنفس اليقين، والاستعداد للتضحية في سبيل الوطن، فقد كان يرى الجهاد والنضال شرفا يناله من اختاره الوطن للدفاع عنه، فهو الذي قال يوما لسي السعيد "المجاهدون لا يختارون الوطن، بل الوطن هو من يختارهم"². وقد حرصت الرواية على أن تبين أن أمثال عمر يثبتون على مبادئهم السامية حتى بعد نهاية الثورة وتحقيق الاستقلال . يتحدث عنه "سي السعيد" قائلا : " تحدث عن مشاغله في الحزب، عن هموم البلد التي لا يمكن تجاهلها لمجرد الاستقلال. كان قلقا و منهكا .فهمت أن رجلا كهذا لا يمكنه التعايش مع المكاتب المكيفة التي بقدر ما تعكس الرخاء، تعكس المأساة في وطن يعيش استقلالا ناقصا!"³

ويضيف متحدّثا عن معارضته للحزب وعدم رضاه عن سياسته التي لا تنفع البلاد : "استقال عمر من المكتب السياسي واكتفى بالكتابة. عرفت أنه أنشأ جريدة مستقلة ليقول فيها ما عجز عن قوله داخل الحزب! كان واضحا

¹ الرواية، ص 90

² الرواية، ص 80

³ الرواية، ص 100

أن المسار الذي اتخذته لنفسه سوف يغضب أشخاصا كثيرين، وأنا منهم!"¹ .
تدفع الروائية بالمتلقي شيئا فشيئا نحو مشكلات الحاضر من خلال ما تبثه
من تلميحات مقنّعة، وتوظيف لفترة حساسة من تاريخ الجزائر دون أن تلزمه
بشيء، أو تورّطه بفحّ الأسلوب التقريري المباشر، إنّّه حرّ في فكّ شفرات
النّص، و رصد مواطن التقاطع والتشابه، وإسقاط ذلك كله على الحاضر؛
ف"من حقّ المتلقي المعاصر للرواية التاريخية أن يقرأها بمنظار معاصر حتى
يضبط إيقاع التلقي لديه مع إيقاع الهاجس الحقيقي الذي دفع الكاتب نحو
هذه الفترة دون سواها، والتركيز على جوانب محددة دون غيرها... فثمة
هدف لا بد أن يكون واضحا بنسبة ما حتى تحقق الكتابة الروائية التاريخية
الغرض منها، وبدون ذلك فإنّ القارئ/ المتلقي قد يتوه في دهاليز التاريخ دون
أن يرى أو يفهم شيئا، لا عن الماضي الذي يحوس خلاله، ولا عن الحاضر
الذي نفترض أنه هو الذي يعني الكاتب والقارئ معا بالدرجة الأولى"²

خاتمة :

¹ الرواية، ص102

² نزيه أبو نضال: التحولات في الرواية العربية، ص43

قامت رواية " كحقل مليء بالفراشات " على بناء فنيّ انقسمت فيه الأحداث بين ماض وحاضر؛ حيث وظّفت الروائية التاريخ لرصد تحولات الأوضاع في الجزائر إبّان الثورة وما بعد الاستقلال. وقد تمازجت أحداث الرواية التخيلية بأحداث الثورة من خلال ذكرها لبعض الأماكن و الأزمنة والوقائع التي لها مرجعية تاريخية حقيقية.

و"ياسمينه صالح" في نصّها هذا سلّطت الضوء على الوجه الآخر للثورة، و ربطت ذلك كلّه بحاضر الجزائر ومعضلاته، وكأنّ الحاضر امتداد للماضي؛ حيث لم يكفِ الاستقلال لبناء جزائر قوية وعادلة بعد الثورة مباشرة؛ وبذلك هي لم تؤرخ للثورة وإنما اخترقت المحذور الذي رافق قيامها، و طرقت أبواب المسكوت عنه الذي تلى الثورة والاستقلال، وما صاحب ذلك من صراعات وتوترات .

قائمة المصادر والمراجع:

- إدريس الخضراوي: من التاريخ إلى الرواية - الذاكرة الجمعية مصدرا للسرّد- مجلة تبين، العدد 33/ مج 9، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، صيف 2020

- جورج لوكاش : الرواية التاريخية، تر : صالح جواد الكاظم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ط2

- سعيد جبار: خطاب الذاكرة: حدود الواقع والتخييل، مجلة علامات، العدد 21، كلية الآداب الجديدة-المغرب - يناير 2004

- سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية الجديدة - الوجود والحدود - دار الأمان، الرباط، ط2012، 1

- نزيه أبونضال: التحولات في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2006، ط1

- ياسمينه صالح: كحقل مليء بالفراشات، دار فضاءات، عمان، 2020، ط1